الصور اللغوية العالمية بين الثقافات

د/منصور القاضي*

القدمة:

في مقدمته الشهيرة يؤكد ابن خلدون أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع، وهذا هو معنى البلاغة. والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال أنها صفة راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة

(1 ص 710).

وبطبيعة الحال فإن القدرة على إظهار الصورة المتماثلة وغير المتماثلة، أثناء عملية التواصل بين الثقافات، تعد من الأسس التي يجب أن يعتمد عليها الباحث المتخصص في مجال علم اللغة الحديث والتي تأتي على شكل المقارنة اللغوية، لا سيما تلك الصورة المتعلقة بالنشاط الاجتماعي لدى الشعوب.

ومن الشروط التي يجب أن تتوافر في هذا المجال: – الثقافة اللغوية- معرفة الألفاظ ودلالاتها، والتعابير اللغوية في اللغة المدروسة،هذا فضلاً عن المفاهيم الثقافية والفلسفية للألفاظ والتعابير المختلفة في اللغتين الخاضعتين للمقارنة.

تعتبر نظرية التقابل والتماثل الثقافي بين اللغات، من النظريات الحديثة في ميدان البحث العلمي، على الرغم من أن عملية التواصل الثقافي بين الشعوب ترجع إلى العصور القديمة. ومن الأعلام الذين أسهموا في تنشيط هذا التواصل نذكر: (اسكندر المقدوني، تشنجيز خان، يولي تسيزار، ماركو بادلو، مرستوفر كولومبس) (10ص 9).

ويرى الباحث أن رواد الفتوحات الإسلامية العرب في شمال إفريقيا وآسيا الوسطى وشرق وجنوب أوروبا، وعلماء العربية الذين احتكوا بالحضارات اليونانية والفارسية، والهندية، وخصوصاً اللغويين رواد الفكر في القرن الرابع للهجرة وما تلاه، لعبوا دوراً كبيراً في مجال التواصل اللغوي بين

* أستاذ اللغويات جامعة عمران

الشعوب، إذ شهد هذا القرن عملية ازدهار الترجمة والعلوم الفلسفية والفلكية والرياضيات وكانت إسهامات الرواد، أمثال: الكندي والفارابي، وابن حزم الأندلسي وكوكبة من أبناء جيله، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي، ومحمد علي باشا، وجمال الدين الأفغاني والكواكبي، والطهطاوي، وحتى زمن طه حسين في مرحلة الأحياء وما بعدها.

ولقد اتضح من خلال البحث عن أفضل صيغ التواصل اللغوي أنه "كان يتم اللجوء إلى العامل الإنساني، لتجاوز الخلافات بين الثقافات العالمية والتقريب بين الآراء المختلفة حتى برزت مسألة التأثر والتأثير الثقافي بين اللغات" (10ص 10).

اللغة والثقافة

لكلمة ثقافة في اللغة العربية ومرادفاتها في اللغات الأوروبية معان متصلة عدة. فمن المهم أن نذكر هنا المعالجة التي قدمها عالم اللغة والثقافة جون لويتز (مشيراً إلى معنى كلمة **culture** ومرادفة تقريباً لكلمة **civilization** حضارة. ومناقضة لكلمة **barbarism** همجية، (2ص 284) وهذا هو المعنى الذي ينطوي عليه في اللغة الإنجليزية النعت **cultured** مثقف أو مهذب. وهو ما يستخدم في سياقات مماثلة في اللغة العربية.

ويلاحظ (لويتز) أن العلماء المتحدثين بالفرنسية عادة ما يوظفون تعبير **langue de-culture** الذي يعني حرفيا "لغة الثقافة"، للتمييز بين ما يعتبرونه من الناحية الثقافية لغات أكثر تقدماً أو أقل تقدما عن غيرها.

إن ما يهمنا هنا في مجال اللغة والثقافة هو التمييز بين الانتقال الثقافي والبيولوجي (أي الوراثي على حد تعبير لويتز)، فإنه من الممكن فعلاً أن تكون لدى الإنسان ملكة سليقية لاكتساب اللغة. وسواء كان هذا صحيحاً أم لا، فإن مما لا شك فيه أن معرفة المرء بلغته القومية تنتقل ثقافياً، غير أن هذه المعرفة لا تكتسب بالتعليم، إلا أنها تكتسب بفضل انتماء الفرد إلى مجتمع معين، (وعند التفكير بالأمر، سيبدو من الواضح حقاً أن المقدرة اللغوية بغض النظر عن أساسها البيولوجي، تقع داخل مجال تعريفنا للثقافة) (2ص 286)

إن تعاليم هردر وهمبولت تعادي الكلاسيكية العالمية والتعقلية المفرطة التي اتسمت بها حركة التنوير الفلسفية، إلا أنها لم تتمادى دائماً في عدائها هذا إلى درجة المناداة، بأن اللغة والثقافة لا تشكلان قضايا كلية، وأكد همبولت على الكلي والخصوصي في اللغة على حد سواء، إذ أدرك أن التباين البنيوي للغات (شكلها الداخلي)، ما هو إلا نتاج ملكة عقلية، تعمل على النطاق الكلي، مع أنها

إنسانية على وجه الخصوص. وبإمكان المرء أن يحاول ليبرهن أن الناطق بلغتين ماهو إلا تمثيل لصورتين متضاربتين للعالم، ويتحول من صورة أحدهما إلى الأخرى بمجرد تحوله من لغة إلى أخرى.

ومن المعروف أن مجموعة مفردات اللغات تكون في غالب الأحيان متشاكلة (متشابهة في الشكل مع اختلاف الأصول)، وفي نطاق صحة هذا القول فإن بعض الأشياء يمكن تحويلها إلى رموز في لغة ما بسهولة أكبر من ذلك في لغة أخرى. فمثلاً (وبقدر ما يقال في لغة الأسكيمو، لا يوجد فيها كلمة منفردة (للثلج)، بل كلمات كثيرة مختلفة للأنواع المختلفة من الثلج، كما هو الأمر بالنسبة لمعظم اللغات الاسترالية التي لا يوجد فيها كلمة تعني (رمل) ولكن كلمات عدة تدل على الأنواع المختلفة للرمل والسبب واضح بما فيه الكفاية في كل حالة، فالفرق بين نوع معين من الثلج أو الرمل وغيره له أهمية كبرى في الحياة اليومية للأسكيمو من جهة، ولسكان استراليا الأصليين من جهة أخرى، ولا يوجد في اللغة العربية والإنجليزية أية كلمات محددة غير كلمة "ثلج" (sand و snow) (2ص 286).

إنه من المسلمات الغير قابلة للنقاش أن اللغات تختلف عن بعضها في عدد المصطلحات اللونية الأساسية فيها. فلا وجود لكلمة brown الإنجليزية في اللغة الفرنسية، ولا توجد كلمة منفردة في الروسية أو الأسبانية أو الإيطالية تقابل كلمة blue وليس هناك كلمة في الهنغارية تقابل كلمة red في حين إن كل المفردات اللونية في اللغة الإنجليزية، يوجد ما يقابلها في اللغة العربية وقد تزيد عليها في بعض المصطلحات اللونية الموغلة بالمحلية.

ولقد ناقش علماء اللغة ظاهرة ضمائر المخاطبة، كمثال لمجموعة واسعة من الاختلافات التي تحدد ثقافياً بين اللغات، فالمعنى المشمول بها، وإن كان اجتماعياً فهو يختلف اختلافاً صارخاً عن المعنى الوصفي للمصطلحات اللونية.

ففي غالبية اللغات الأوروبية وفي بعض أقاليم الناطقين باللغة العربية يوجد تمييز بين ما اصطلح تقليدياً على تسميته بضمائر المخاطبة المؤدبة وبين الضمائر العائلية أو غير الرسمية.

ويجري الحديث اليوم عن السؤال الجوهري المطروح في ميدان البحث وهو ما يجمع اللغات الإنسانية وما يفرقها؟ مع التركيز أيضاً على العنصر الثقافي كعامل من عوامل تطور اللغة، وعلى اللغة كمكوّن أساسي له، وعلى الإنسان كوسيط نشط وفاعل كونه منتج ومخزن أساسي لكافة التفاعلات الثقافية من لغة وسلوك وعادات وتقاليد وموروثات هامة في ماضيه وحاضرة ومستقبله (14ص 92)

في خمسينيات وستينيات القرن العشرين ظهرت مدرسة لغوية أطلق عليها اسم (المدرسة الموسكوفية للدلالات اللغوية) وفي زمن قياسي لا يتجاوز التسعينات التسعينات من نفس القرن، قطعت هذه المدرسة شوطاً كبيراً في تحديد المفاهيم النظرية للصورة اللغوية العالمية، وعلى قاعدة التباين والتمايز اللغوي بين الثقافات كانت الترجمة الإلكترونية أول بوادرها، التي من خلالها تم التوصل إلى أهم ما يجمع اللغات وما يفرقها في مختلف الخصائص اللفظية والتعبيرية والدلالية والتركيبية. وبذلت وما تزال تبذل جهود علمية كبيرة للإجابة على مختلف الأسئلة التي شغلت الباحث اللغوي في ميادين البحث (الفلسفية، النفسية والاجتماعية والانثروبولوجية). وللإجابة على الأسئلة الجوهرية في اللغة لا بد من تحديد المهام الهادفة إلى إعادة إنشاء الصور اللغوية العالمية، ولضرورة التوصل إلى نتائج علمية مجدية لا بد من الأخذ بالمبدأ التكاملي للوصف اللغوي في اللغات الخاضعة للدراسة. وللإجابة على سؤال (كيف ينبغي أن تبنى الأوصاف اللغوية؟) لا بد من الإجابة أولاً على السؤال الأساسي وهو؛ كيف بنيت اللغة؟ وللوصول إلى نتائج علمية مرضية لا بد من دراسة المرتكزات النظرية التالية:

١- نظام استخلاص المعاني.

٢- تصور دلالة العلاقة بين المفاهيم اللغوية التبسيطية والمعيارية بهدف معرفة المفهوم الوصفي في اللغة المحددة، والذي يبين معنى المفردة الواردة في اللغة ذاتها.

لإجراء بحثاً لغوياً واضحاً يتطلب اليوم تقديم تصور معرفي عن المؤسسة التكاملية ثلاثية الأضلاع التي ترتكز عليها الدرامات اللغوية المعاصرة، ضلعها الأول اللغة وضلعها الثاني المحيط العالمي، وضلعها الثالث الإنسان(14ص 99) . ومن هذا المنطلق لا بد من تحديد المهام والأهداف الرئيسية التي ينهض بها الدرس اللغوي ومن بينها تحديد العلاقة بين الثلاثية المذكورة سلفاً، كون البحث اللغوي في السابق ولزمن طويل اقتصر على دراسة النظام التركيبي للغة دون أن يهتم بدراسة الإنسان الناطق بهذه اللغة كونه العنصر الرئيسي في المؤسسة الاجتماعية، التي تستخدم هذه اللغة والثقافة التي تحملها والتطور الذي يساعد على إنجازه. باختصار شديد بقية الثقافة الروحية التي يحملها الإنسان والتي تشكل هويته بعيدة عن جوهر الدراسات اللغوية.

وبين اللغة والبيئة يوجد الإنسان حامل اللغة إلا أن البيئة المحيطة بالإنسان تتحقق أيضاً بثلاثة عناصر، أهمها:

١- العالم الموضوعي، وأثر هذا العالم في عقل الإنسان.

٢- الصورة الثقافية للعالم في عقل الإنسان.

٣- التعبير عن النتائج المؤثرة في اللغة من خلال البيئة والإنسان (14ص 111).

لا بد أن الصورة اللغوية العالمية هي ذاتها النظرة العالمية في ضوء اللغة.

فعند مقارنة الصور اللغوية العالمية بين اللغات – اللغة العربية والروسية على سبيل المثال- نلاحظ وجود اختلاف كبير بينهما، لأن لكل لغة تصور خاص بها نابع من عالمها الخاص أي إن لكل لغة أسلوبها الخاص في تصوير الأشياء، وبالتالي يتزايد الحديث عن الهوية التي تشكل اللغة أساس متين لها بالاتفاق مع الوقائع الثقافية التي تظهر الخصوصية الإنسانية في فهم العالم من حيث التشابه والتباين، ولن يتحلى ذلك إلا في فهم الصور اللغوية العالمية ومقارنتها بين الثقافات. وفي الحقيقة أنه لن يتيسر فهم اللغة إلا عند هضم وقبول ثقافة الشعب الذي يتحدث بها، لأن فهم أسلوب المحادثات المتبع في اللغة المدروسة يحد من المشكلة، كون التواصل اللغوي يفرض شروطاً للوجود الإنساني وتطوره الثقافي ويفرز العملية الثقافية في إطار التواصل اللغوي الاجتماعي المتمثل في العطاء والتوثيق والتبادل الثقافي القيمي، ويعتبر النشاط التواصلي بواسطة اللغة، الفقرة الهامة التي من خلالها تتفاعل اللغة العربية أو غيرها كمنظومة صوتية وثقافية.

علاقة اللغة بالفكر وتكوين الصورة اللغوية

إن الأسئلة التي طرحت على طاولة البحث منذ وقت مبكر، لا سيما تلك الأسئلة المتعلقة بمسألة التواصل بين الثقافات التي كان مصدرها مجموعة من رواد البحث في فلسفة اللغة. وفي مقدمتهم (أرستاتل ولبنيتس وفولتير، كانط، هيجل، فون جومبلدت وباس) وغيرهم، إلى أن جاء اللغوي الانثربولوجي الأمريكي (إدوارد سابير) وتلميذه (بنيامين لي وورث) اللذان وضعا الفرضية النسبية في اللغة، إذ أعطت دفعة قوية لمجمل النظريات المتعلقة بمستقبل اللغة والثقافة، وتقوم هذه النظرية على الأسس والمبادئ التالية:

١- الحتمية اللغوية: ومنطلقها أن الصفات اللغوية الدلالية واللفظية والتركيبية تكوّن الفكر وتحدد طبيعة التفكير ذاته.

٢- المذهب اللغوي النسبي: وهو أن كل لغة تتسم بخصائص وصفات معينة تميزها عن اللغات الأخرى.

تحتوي نظرية (سابير وورث) على جانبين؛ جانب قوة وجانب ضعف، أما قوتها فهي تكمن في تأكيدها سيادة اللغة على تفكير ونشاط ووعي الفرد، وأما ضعفها فهو يكمن في أن كثير من اللغويين الأنثروبولوجيين كانوا وطنيين أو أجانب ينبذون هذا المبدأ ويرون أن هذه النظرية ينقصها الصواب في

مسألة حميمة العلاقة بين اللغة والثقافة، في حين أن لها أثر كبير في عملية تطور الاتصال اللغوي بين الثقافات وهي تسهم في الوقت ذاته في تعجيل الاقتراب من لغز اللغة والثقافة الذي واجهه ويواجهه الباحث اللغوي إلى يومنا هذا(2ص 286) .

ويرجع اهتمام السيكولوجيين بمسألة تأثير اللغة على الفكر إلى وقت يقدر أنه سابق لصياغة فرضية (سابير وورف) تبعاً لما قد عرف ((من أن الذاكرة والإدراك الحسي يتأثران بمتاحية الكلمات والتعابير المناسبة)) وتبين أن الناس يترعون إلى ملاحظة وتذكر الأشياء التي يمكن تحويلها إلى رموز في لغتهم،أي أن الأشياء التي تقع ضمن مجال الكلمات والتعبيرات المتاحة، فإنما هي من الأشياء التي تقع ضمن دلالة كلمة واحدة شائعة، فعلى سبيل المثال (uncle) عم في الإنجليزية، يمكن تحويلها إلى رموز بسرعة أكبر من شيء يتطلب وصفة عبارة يتم تركيبها خصيصاً (parents male sibling) الأخ المذكر للوالد، وهي في نفس الوقت تعني الأخ المذكر للوالدة على عكس ما هو في العربية بين (عم، خال) (2ص 286).

لقد بدأت فكرة الصور اللغوية العالمية بين الثقافات بالظهور في ميدان البحث اللغوي تقريباً في نهاية ستينيات القرن العشرين واتسمت بالموضوعية التالية:

١- إمكانية إنشاء الصور اللغوية العالمية بين الثقافات بواسطة أحداث اللغة، المتمثلة بالمفردات والتعابير والتراكيب، والأمثال، بترابط النظم النحوية واللفظية.

٢- اختلاف الصور اللغوية الثقافية عن الصور اللغوية العلمية، فالصور اللغوية الفيزيائية مثلاً: صورة (الفضاء والزمن) أو (الصورة الإنفعالية)، (الصورة الكيميائية).

الصورة اللغوية الثقافية، تمثل انعكاس مباشر للنظرة الاجتماعية وذلك من خلال لغة معينة بصورة ثقافية تميزها عن أي لغة أخرى، وبالتعبير عن النظرة الواقعية للعالم المحيط، و يكشف عن الخصوصية الاجتماعية المؤسسة للفكرة أو ما يفصح عن دلالة الفكرة ضمن الصفات اللغوية (الصرفية والتعبيرية والتركيبية). (12ص 65) ولأن الهدف الرئيسي من هذا البحث، هو تحديد طبيعة الصورة الثقافية العالمية في أي لغة. وكما أشرنا سلفاً فهو لا يمكن تحديد هذه الصور من دون معرفة الخصائص والسمات التي تتميز بها اللغة المحددة، التي تمكن الباحث من إجراء المقارنة اللغوية بين لغتين، قد تشترك في بعض السمات اللغوية وقد تختلف في بعضها الآخر، هذا فضلاً عن الخصوصيات الثقافية والاجتماعية التي تتميز بها المجتمعات الناطقة بهذا اللسان أو ذاك، لذلك حتمت المقارنة بين اللغتين العربية والروسية، لما حظيت به من دراسات وأبحاث لغوية في مختلف الخصائص النحوية والصرفية

والدلالية. ونذكر هنا بعض الجهود التي بذلت من قبل اللغويين الروس والعرب. ولعل أهم اللغويين الروس الذين قدموا عملاً جليلاً في مجال المقارنة بين اللغتين العربية والروسية هم فيخليا يفا ن. ب (مقارنة بين الأفعال الزمنية العربية والروسية)، فولكوف (الطريقة الميسرة في تعلم اللغة العربية)، جراندية ب.م (الجداول النحوية في اللغة العربية)، زميجنتسيف ف.أ (من تاريخ اللغة العربية)، ايتفا .ر.م (مقارنة تحليلية للنظم النحوية في العربية والروسية) وغيرهم.

ومن بين اللغويين العرب نذكر: أحمد حراب (مقارنة تحليلة بين الضمائر اللغوية العربية والروسية)، غفار ديك الباب (المبادئ الأساسية للكلام المنضم في اللغتين العربية والروسية)، كمال نجيب عبدالرحمن (دلالة الحالات القواعدية في اللغتين العربية والروسية)، مصطفى صالح هاشم (السمات الوصفية المصعبة في لغة تشيخوف وطريقة نقلها إلى اللغة العربية)، رفيق عبدالله العبد (أقسام الكلام في اللغتين العربية والروسية) وغيرهم

الصور اللغوية العالمية المتجسدة بالأسماء والمفردات

وباعتبار أن وجود اللغة ضرورة حتمية للتواصل والتبادل في إطار المقارنة بين اللغتين العربية والروسية وقفنا على النتائج الآتية:

١- إن اختلاف الصور اللغوية العالمية لدى مختلف الشعوب تتمثل من حيث المبدأ اللغوي بالجانبين الصرفي والتركيبي. ومن الناحية العملية وفي الحالة الماثلة أجرينا مقارنة بين العربية والروسية، فقط من حيث الأسماء والمفردات التي تكثر في العربية وتقل في الروسية والعكس. وعلى سبيل المثال:

أ. اسم (البعير) في اللغة العربية "جمل، ناقة+ قعود + قلوص" تقابلها في اللغة الروسية مفرده واحدة اسم (verblud) فيربلود. وكذا اسم الخنزير في اللغة الروسية يختلف باختلاف الجنس (svenya سفينيا) للخنزير المؤنث و(kaban) "كابان" للخنزير المذكر و(porosenok) "باراسيوناك" للخنزير الصغير –الخنوص. في حين أنها في العربية- كلمة واحدة (خنزير).

ب. كلمتي (عمة) أو (خالة) تقابلها كلمة واحدة (tetya) تيوتيا.

ج. وكلمة أصيول للمذكر وأصليتسا للمؤنث في اللغة الروسية (حمارة) تقابلها بالعربية عدة كلمات منها "حمار" قرماني – حمار صبياني، جحش، صعبي، للمذكر" أو "بهيمة، دابة" للمؤنث.

كلمة (فادا) voda بالروسية منفردة تقابلها بالعربية (الماء الصافي) و(الماء الشافي) (15ص 76).

د. وتأتي في العربية لفظة (وجد) مثلاً التي تجيئ ماضي من الوجدان، بمعنى العلم بالشيء أو العثور عليه، فيقال (وجد الضالة إذا عثر عليها) ووجدت زيداً كريماً إذا علمته كذلك.

- ومن الموجدة بمعنى الغضب.
- ومن الوجد بمعنى الحب الشديد فيقال: وجد به وجداً إذا هويه وتفانى في حبه. في حين أنها بالروسية تأتي منفردة لكل معنى لفظة خاصة به.
- ولفظة (جن) مشتقة من الأجنتان وأن الجيم والنون تدلان على السر.

-جنة: اسم للدرع، وجنة الليل، وجنين في بطن أمه(4ص 205).

- في حين أن كلمة (تشورت) thort بالروسية أي جني لا تعني سوى معنى واحد هو المخلوق الشيطان.

لفظة أُنس مشتقة من الظهور، يقولون أنست الشيء أي أبصرته في حين أنها في اللغة الروسية (لودي –تشيلافيك) ludi-thelovek تعني معنى واحد هو إنسان أي آدمي مع أن لفظة إنسان في اللغة العربية تعني الواحد من بني آدم، وتعني ناظر العين وتحمل معنى السهم والسيف(5ص 94).

- وكلمة عرف تفيد انكشاف الشيء وظهوره.
- لفظة الخال بالعربية تطلق على أخو الأم وعلى البعير الضخم وعلى السحاب وعلى الأكمة الصغيرة وعلى السهم.

في حين أنها في اللغة الروسية (ديايديا) dyadya وتعني أخ الأم أو الأب أو زوج الأم من دون أن تحمل بقية المعاني التي تحملها اللغة العربية.

ه. لفظة الأرض: وتطلق على ما يقابل السماء وعلى الرعدة وعلى الزكمة. في حين أنها في اللغة الروسية لا تحمل إلا معنى ما يقابل السماء (زيملیا) zemlya.

لفظة الهلال: وتطلق على هلال السماء، وهلال الصيد، وهلال الأصبع الصغير، وعلى باقي الماء في الوعاء، وعلى الجمل الهزيل، وإطلاقها على باقي المعاني ما عدا هلال السماء أو ما تم إطلاقه مجازياً(5ص 101). في حين أنها في الروسية تحمل معنى واحد (ميسيتس) mesyats وتعني الهلال رمزاً لبداية الشهر وكلمة (لونا) luna أي القمر.

وكلمة (metel) باللغة الروسية (ميتيل) و(veuga) فيوجه تقابلها باللغة العربية عبارة واحدة هي (عاصفة ثلجية) وغيرها.

إذ أن من المشكلات التي تظهر عند الدراسة أو الترجمة هي الزيادة في الأسماء أو الصيغ أو محدوديتها.

وتجيء هنا كلمة (إرهاب) والتي تكتسب في العربية اشتقاقات متعددة ومنها تجيئ رهب، رهبة، رهباً، راهباً، رهباناً. فهي في حالة الفعل الماضي أرهب – خوّفه، ويقال أرهب عنه الناس بأسه ونجدته، أي أن بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه(6ص 6).

- ترهب: أي صار راهباً وتعبد.
- الرهبان: جمع راهبين، ورهابنة، ورهبانيون وهو المبالغ في الخوف كالخشيان.
- الرهبنة إسم من معنى الراهب، أي اتخاذ طريقة الرهبان.
- الإرهابي، من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته أي الحكم بالإرهاب.
- رهب الجمل: أخذ ينهض ثم برك عن ضعف.

الرهب: جمع رهاب من الإبل(7ص 282).

وكلمة الإرهاب حديثة في اللغة العربية وهي مشتقة، أقرها المجمع اللغوي وجذرها رهب، بمعنى خاف وكلمة إرهاب هي مصدر الفاعل، أرهب وأرهب بمعنى خوف، وأرهب بمعنى ركب الركب، أي ما يستعمل في السفر من الإبل(8ص 256). في حين أنها في اللغة الروسية لا تحمل إلا معنىً واحداً (Terorizm) أي إرهاب، من التخويف ونشر الرعب وكل معنى آخر له لفظه مستقلة تقابله.

٢- ظهور مبدأ التكافؤ والتماثل في الصور اللغوية العالمية عند الدراسة أو المقارنة بين اللغة العربية والروسية على سبيل المثال من حيث بناء المفردات ومعانيها.

وفي هذا الميدان نعرض التصور الذي قدمته الباحثة اللغوية العالمية

(ترمينا سوفا.ج) والتي تقول(إن الفروق اللغوية الواضحة في المفردات والصيغ والتعابير وخصوصاً ما يتعلق بالمعلومة اللغوية البحتة، هي مختلفة من حيث التماثل والتقارب باختلاف الاستخدام الاجتماعي للغة، المشروط بالجانب الثقافي في مختلف مجموعات المتحادثين، ولهذه العوامل

أثراً كبيراً على استعمال الكلمة والكشف عن وجود مشكلة في غاية الأهمية هي: مشكلة التماثل بين اللغات(8ص 16).

لعل أهم ما يمكن وضعه هنا للمقارنة هي: لفظة (البين) في لعربية والتي تعني البين المتباينة بمعنى المفارقة، يتباين القوم تهاجروا، الفرقة + الهجرة (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وظل عنكم ما كنتم تزعمون) (9ص 14){الأنعام:٩٤}.

بون – والبون: المسافة بين الشيئين.

غراب البين: أي الأبقع، فيه بياض بتميزه عن سائر الغربان، غراب البين لأنه نذير شؤم، يفرق بين الناس(9ص 20). وفي اللغة الروسية تأتي لفظة البين (Razlyka) بمعنى واحد فقط هو الهجران- أما الغراب – فهو في ثقافتهم مصدر للشؤم كما هو مفهوم في العربية.

- أبان: فصل: يقول ضربه فأبان رأسه من جسده وفصله، فهو (مبين).
- أبِنْ القدح عن فيك: أي أفصله عنه عند التنفس لئلا يسقط فيه شيء من الريق.

❖ البين بكسر الباء: الفصل بين الأرض وهي التخوم.

❖ البائنة: يقال طلب إلى أبويه البائنة، وذلك إذا طلب إليهما أن يبيناه بمالٍ فيكون له على حده..... والبائنة أيضاً: البئر البعيدة القعر، الواسعة.

❖ البائن: المرأة المطلقة يقال بانت المرأة على الرجل وهي بائن، وهنا تقابلها في اللغة الروسية لفظة (Razvod) أي الطلاق Razvedena) أي المطلقة والطلاق في ثقافتهم نهائي وإن عاد إلى عقدها مرة أخرى ومن دون محلل، انفصلت عنه بطلاق والطلاق البائن هو الذي لا يملك الزوج فيه استرجاع المرأة إلا بعقد جديد.

- ويقال للجارية إذا تزوجت: قد بانت: وهنَّ قد بن إذا تزوّجن كأنهن انفصلن عن بيت أبيهن.

بين: الظهور والوضوح، فظهور الشيء ووضوحه يكون بانفصاله عما حوله وتميزه عما يرتبط به أو شد إليه. إذاً فدلالة مادة (بين) على الظهور والوضوح هي نتيجة للدلالة عن الفصل والفراق.

- التبيين: أيضاً التأمل يقال: تبين الأمر فأملته وتوسمته.

- والتبيين: التثبت، وفي الحديث "إلا أن التبين في الله والعجلة من الشيطان فتثبتوا" أي التثبت في الأمر والتأني فيه.

- وقرئ قوله عز وجل: (إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) {النساء:٩٤} وقرئ فتبينوا والمعنيان متقاربان. وقوله عز وجل: (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) {الحجرات: ٦} أو فتثبتوا قرئ بالوجهين معاً.

- (بيّن) الفصاحة والقدرة على التبليغ والإقناع، ويتعلق الأمر هنا كما هو واضح بمستوى ثالث من الدلالة، المستوى الذي يشير لا إلى وضعية الشيء بالنسبة لغيره من الأشياء، وضعية الإنفصال والتفرد والتميز ولا إلى حالته بالنسبة لمن يراه ويرقبه، حالة الظهور والوضوح، وإنما يتعلق الأمر أساساً على هذا المستوى بقدرة الإنسان الذي يرى الأشياء ويتأملها ويتوسمها على الإبانة، أي على تتبع السامع مراده. ويقابلها هنا في اللغة الروسية لفظ مختلف تماماً وله المعنى المبين للفصاحة فهي yazikovie sposobnosti أي مقدرة الفصاحة اللغوية أو الملاكة اللغوية.

وفي قوله عز وجل: (الرحمان، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان) المقصود أن يكون الإنسان في الآية المذكورة إسماً لجنس البشر جميعاً ويكون على هذا علمه البيان جعله مميزاً حتى انفصل الإنسان ببيانه وتميزه عن جميع الحيوانات (9ص 16).

الصور اللغوية العالمية المتجسدة في الضمائر

وتأتي الصور اللغوية العالمية بين الثقافات من خلال التركيز على الضمائر المستخدمة في المجالات الأدبية والفكرية التي توضح العلاقة بين (أنا) و(نحن) وما تجمعهما من قيمة مركزية تتعلق بمبدأ الأنانية ونكران الذات.

ففي هذا الإطار قدمت العالمة اللغوية (سينيلنكوفا) تحليل دقيق لطبيعة المرحلة الراهنة من حيث الدلالة اللغوية للضمائر، مبينة لنوعية العلاقة الإنسانية التي ليس بالجديد الخوض فيها، لكنه من البديهي بحسب وجهة نظرها أن(العصر الراهن يشهد تعقيداً وتأزماً كبيرين في العلاقات الإنسانية، مما يؤثر على المعرفة المجتمعية ويعقد عملية تكوينها، إذ بات من المهم للغاية النظر في أهمية وقدرة اللغة في الحفاظ على حالة التوازن بين ما هو عصي على الإنسان مفرداً وما هو بديهي بالنسبة للناس مجتمعون، انطلاقاً من مبدأ البحث عما يجمع ويوحد ويساوي بين الأفراد بالنسبة للناس وتظهر اللغة هنا قدرةً عالية في تنظيم النشاط اللفظي مع تحديد اتجاهات الأقصى وإبراز غاية المخاطب (بكسر الطاء) ورغبته بالتوحد مع المخاطِب (بفتح الطاء) سواء بين المجموعات البشرية أو بين الأمم) (16ص 365).

لقد بات من المنطقي القول إن أساس المعرفة اللغوية الثقافية تكمن في الصور اللغوية العالمية، فضلاً عن ما يتضمنه الوعي اللغوي لدى الفرد بدلالة الضمائر والانتقال بها من (أنا) إلى (أنت) وما بعدها (نحن) و(هم) مما يؤدي إلى تعدد الآراء والقناعات وتكوين معرفة جديدة عن العالم، على اعتبار أن العلاقة بينها هامة وقيمة أكثر من أهميتها بين الأفراد.

وحسب رأي بعض العلماء ومن بينهم الباحثة (سينيلنكوفا) أن التوجه الاجتماعي والحركة الاجتماعية النفسية تحدد درجة الانتقال من اسم الضمير (أنا) إلى (أنت) كميزة إنسانية طبيعية إلى (هم) و(نحن) و(أنتم).

ويرى البعض الآخر أن جدلية العلاقة بالاتجاه الأكثر تعقيداً فيما يتعلق ب (أنا) و (أنت) كونها الصفة المنتجة من الجذور الأساسية ل(نحن) و(هم)، أما (نحن) في طبيعة الحال، تشكلت أو أفرزت عن (هم) على الأقل من الجانب الحسي، لأن (هم) تؤكد رغبة الانتماء بالعلاقة مع (هو)، أما (نحن) في هذه الحالة فهي من صنف العلاقة الأكثر تعقيداً من الناحية الاجتماعية والنفسية.

ولا بد من الإشارة إلى أنه ما يزال هناك قصور في علم التركيب الحديث (النحو) من حيث أن الباحثين ما يزالون يتجاهلون المنهج التحليلي للتصنيف الدلالي، مع أن هذا المنهج إلى حد ما استخدم في الدراسات البلاغية العربية القديمة وتحديداً عند الجرجاني، والجيل الذي تلاه، ما اضطر الدراسات الحديثة إلى تتبع دلالة الضمائر والحقيقة أنها أجريت محاولات ناجحة في هذا الجانب وتحديداً مطابقة هذه الدلالة مع طبيعة العلاقة الإنسانية والثقافات الاجتماعية اعتماداً على التجارب والأمثلة التي يقدمها لنا التاريخ البشري عن القيمة النفسية والاجتماعية التي تحملها أسماء الضمائر (أنا) للمتكلم و(أنت) للمخاطب و(نحن) و(هم)، سواء عند الحديث عن المشكلات المعقدة أو السهلة وفي مختلف المراحل وفي جميع أنواع الأنشطة وكذا في حيات البشر أيضاً نلاحظ أين ومتى يكون الاتفاق أو الاختلاف بين ال (أنا) و(هو) و(نحن) و(هم). بشكل عام يجري الحديث هنا عن طريقتين هامتين لنقل الأفكار والمعلومات بين الناس حيث تتمثل الطريقة الأولى بالتركيز على (أنا) المتماهية مع الذات أو الرمز والطريقة الثانية هي المخالفة تماماً للأولى لأنها منسجمة تماماً مع الصورة الجماعية أي الناكرة للرمز أو الذات.

ففي حالة (الأنا) عند نقل الخبر يضع المخاطِب نفسه في مركز مصدر الخبر وتتبين فيه الفردية إلى أقصى الحدود منطلقا من قاعدة ملكيته((للانا)) معربا في الوقت ذاته وبشكل كلي عن ذاته ليضع المخاطب في حالت الاستعداد التام للتلقي والاستيعاب واستنتاج الأفكار.

أما في حالة نقل الخبر والأفكار بالطريقة المغايرة ((للانا)) فهي على العكس تماما تحدد طبيعة اهتمام المخاطب على أنه مصدر ومركز تكوين الخبر، أي أن الخبر ذاته ليس مباشر بواسطة ((الأنا)) ولكنه في ضوء ((الأنا)) المتناسقة أو المتمازجة مع ((أنت)) كما أن التخاطب بالطريقة المغايرة ل((أنا)) تبين الوضع الاجتماعي للمخاطب وأسماء الضمائر كلها تبين أنها احد أهم عناصر الكشف عن الوضع الاجتماعي والنفسي للمخَاطِب والمخَاطَب، ومن المعروف أن تفيسر الضمائر وفقاً لاستعمالاتها في السياق، وأما بالحسابات الدقيقة من الناحية النفسية فلها علاقة مباشرة بالتصور الذهني للفرد، على الأقل من وجهة نظر العلوم الإنسانية إذ لا بد من التأكيد هنا على طبيعة النظام المعرفي في اللغة الروسية من حيث أنه يتميز بالأسلوب المغاير (للأنا) أثناء المحادثات التأملية أو الإنعكاسية التي تدل على حاجة الفرد للتعايش مع الآخرين.

وفي الصورة الفلسفية العالمية المبنية على الفكرة الروسية والعربية تبين أن خصوصية التفرد تتجسد بمفاهيم الاعتزاز بالذات والأنانية والضعف. غير أن مفاهيم القوة والحقيقة والعدالة مرتبطة مباشرة بمفهوم الجماعية والوحدة العام.

وبطبيعة الحال بالنسبة للحياة المتسمة بالجمع أو التكتل أو المجالسية تأتي بكثرة ووفرة التراكيب الدالة على التوحد والتكاتف المجتمعي والتي تتبين بالصيغ التالية:

- (نحن معك.....).
- (كلنا معكم.....).

(نحن جميعاً ....)إلخ(16ص 365).

المقاربة الثقافية للصور اللغوية بواسطة الإتصال اللغوي عبر المثل

لأول مرة يتم التركيز على جانب مهم من جوانب الثقافة المجتمعية وتحديداً ما يتعلق بالمثل التي يتحلى بها أي مجتمع من المجتمعات البشرية، من خلال دراسة، قدمها البروفسور (دبميتوف) أستاذ فقه اللغة في جامعة ساراتوف في روسيا الاتحادية والتي تعتبر أول دراسة يجري فيها الباحث محاولة تقريبية بين الثقافات على أساس الاتصال اللغوي بواسطة المثل العليا من خلال التركيز على ثلاث لغات؛ الإنجليزية والروسية والبولندية، على اعتبار أن العربية تمتلك جانب كبير من هذه المثل التي تتجلى صورها عند النظر إلى اللغات المستهدفة في مجال هذا البحث.

الاتصال اللغوي عبر المثل كأحد أهم عناصر الاتصال في اللغة المعيّنة وفي الثقافة المعينة التي يتفاعل معها جميع المتحادثين اعتماداً على مختلف النظم والأساليب اللغوية الخاصة بأي لغة من اللغات الإنسانية المستهدفة للمقاربة أو المقارنة.

ومن بين الصيغ التي قدمها لنا صاحب نظرية المثل بين الثقافات المجتمعية وتحديداً ما يتعلق بالاتصال اللغوي عبر المثل، بغض النظر عن طبيعة العلاقة بينها وبين أشكال الاتصال اللغوي الأخرى في أي من الثقافات العالمية صيغة: (يقول الناس أن.....) (17ص 305).

ومن الواضح والجوهري للمتتبع أن المقاربة الثقافية للصور اللغوية العالمية بين الثقافات تتجلى في دلالة العلاقة اللغوية لتضع هذه الصيغة مقدمة محورية عن الحظر أو الانتشار أو الوصف. وكذا الاتصال اللغوي عبر صيغ الإخفاق أو النجاح (جيد، تعيس. بئيس، سعيد محضوض، متميز، عاقل، متخلف)، وفي اللغة العربية يتجسد هذا في جملة المفردات التي تبين ميزات التحضر والبداوة وكذا اقتران الكرم بالشجاعة وتعدد الصور اللغوية في العربية ميزة ثقافية يتميز بها العربي البدوي والحضري الروسي واقترانهما بالثقافة المجتمعية في اللغتين. وبهذه الطريقة أو بغيرها – عند المقاربة بين اللغتين – نأخذ بعين الاعتبار كافة المفردات اللغوية بالإضافة إلى تلك التي لا تتفق مع شكل الاتصال اللغوي عبر المثل.

إن مفهوم الاتصال اللغوي عبر المثل لا يقتصر فقط على النماذج اللغوية القائمة على استخدام النظم اللغوية بل يقوم على النظام اللغوي ذاته والمعتمد في الموروث اللغوي الكلاسيكي في علم البيان ابتداء من (ارستاتيل) في (بيان المثل). ويتفق البروفسور (دميتوف) مع سيترتين الذي يؤكد أنه (من الممكن فهم الاتصال اللغوي على أنه لوحة تعبيرية بارزة عن المخاطب المثالي المحضورة أقواله وحتى دميتوف الذي جدد دعوته التي سبق أن قدمها في كتابه (اللغة وفنون القول) الصادر في العام ٢٠٠٥م والقائمة على أساس الاعتماد على المعنى الذاتي الذي يجمع بين علم اللغة الحديث والثقافة، وعلى أن تطورهما لا يقوم إلا على أساس نظرية الأسلوب في الفنون اللغوية. إلا أنه في البحث العلمي نحى نحو الجانب التركيبي في اللغة(17ص 306).

الخـــــــــلاصة

شهدت اللغة تطوراً حافلاً في مختلف مجالاتها الصوتية واللفظية والتركيبية منذ زمن بعيد. وتعددت مظاهر الدراسة اللغوية بتعدد فروعها، وتعاظم الدور الذي لعبته العلوم المجاورة لها (اجتماعية ونفسية وفلسفية وفسيولوجية وإثنروبولوجية ثقافية) كل في مجال نشاطه، مما أدى إلى تعدد المدارس والنظريات اللغوية، لعل أهمها مدرسة موسكو والتي قطعت شوطاً كبيراً في تحديد المفاهيم النظرية للصور اللغوية العالمية والتي تقوم على قاعدة التباين والتمايز اللغوي بين الثقافات، إلا أن الجانب الثقافي في اللغة لم يحظ بالاهتمام الذي حظيت به مجالات اللغة الأخرى وحتى من زمن غير بعيد لا يتعدى القرن التاسع عشر.

لذلك قدرنا أهمية البحث اللغوي الذي يقوم على ثلاثة عناصر رئيسية (الثقافة واللغة والإنسان) ومن بين القضايا التي حاولنا معالجتها في هذا البحث، قضية إنشاء الصور اللغوية العالمية بين الثقافات، آخذين بالمبدأ التكاملي للوصف اللغوي بين اللغتين العربية والروسية.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث، معرفة جملة من المرتكزات النظرية التالية:

١) نظام استخلاص المعاني.

٢) معرفة المفهوم الوصفي في اللغة المحددة، والذي يبين معنى اللفظ الوارد في اللغة ذاتها.

٣) تحديد المفهوم اللغوي للعبارة وتصور المقياس العرضي لها.

٤) أهمية المقارنة بين الصور اللغوية ودور الثقافة المجتمعية في تكوينها.

٥) تقديم تصور معرفي عن المؤسسة التكاملية ثلاثية الأضلاع التي ترتكز عليها الدراسات اللغوية المعاصرة: (اللغة – المحيط العالمي – الإنسان). وتحديد العلاقة بين كلٍ منها مع الاهتمام بدراسة الإنسان الناطق باللغة، كونه العنصر الرئيسي في المؤسسة الاجتماعية.

٦) اختلاف الصور اللغوية الثقافية العالمية، والمتمثل بالجانبين الصرفي والتركيبي.

٧) الكشف عن مشكلة التكافؤ والتماثل بين اللغات.

٨) التمييز بين اللفظ وما يقابله من معنى في اللغات المدروسة.

٩) التركيز على الضمائر اللغوية التي توضح العلاقة بين أنا ونحن في اللغات المدروسة.

المصادر والمراجع

1-ابن خلدون المقدمة ،تحقيق د/حامد احمد الطاهر- دار الفجر للتراث 2004 .

2- جون لويز اللغة واللغويات - ترجمة الدكتور / محمد العناني ط. الاولى دار جرير – عمان 2009.

3- علي عبد الواحد وافي فقة اللغة العربية القاهرة .

4 – ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية القاهرة 2009

5- محمد المبارك – فقة اللغة العربية- دار الفكر للتوزيع.

6- د/ علوي مبلغ ، الارهاب اوروبي المولد ، امريكي التاهيل ، دار التيسير ، صنعاء 2003 .

7- المنجد في اللغة والاعلام ، دار الشرق بيروت ،1986.

8- مختار الصحاح القاهرة 1962.

9- محمد عايد الجابري – بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ط. السادسة ، بيروت 2000.

المصادر والمراجع الاجنبية

10.Леонович О.Введение в межкультурную коммуникацию. учебное пособие. М., 2007.

11. Апресян Ю.Д. Языковая картина мира и системная лексикография словянских культур. М., 2006, с.34-35

12. Маслова В.А. Введение в лингвокультологию. М.,2004, с.65

13. Дмитриева Л.М. Топонимическая картина мира.Материалы Всеросийской конференции.Ольск.,2000,с.40

14. Серебреников Б.А.Как происходит отражение картины мира в языке.Роль человеческого фактора в языке. М.,Наука., 1988, с.87-107

15.Терминасова С.Г.Язык и межкультурная коммуникация. М.,Слово.,2002

16.Синельникова Л.Н. Прономинальная семантика. Культура народов причерноморья.Крым 2008 с.365

17.Димитов А.С. Культура народов причерноморья.Т.2 Крым. 2008